□م كاتبها أحفظها لقلة كلماتها، القصة **"عندما نهضت من النوم كان الديناصور ما زال موجوداً"** . أحببت هذه القصة لذلك علقت في ذاكرتي، من لا يريد أن يبحث فيها □وف يـ□قطها من ذاكرتـه بعد أن ينتهي منها، أنـا كتبت في مجموعتي القصصية الأولى "آن لنا أن نفرح" عدداً من القصص القصيرة جداً أقربها لنفـ□ي وأحبها ويزداد تعلقي بها كل يوم لأني أردت فيها أن أبرز قـ□وة فكرنا وثقافتنا وتخلفنا العربي أمام حالـة العشق، القصـة بعنـوان "قصـة حـب شرقية" ونصـها (فـي زاويـة المقهـى كنـا صامتين حزينين، قالت: أحبك. قلت: وأنا أيضاً، وبكينا معاً.)

الرواية بـ□عتها أكثر تأثيراً وجمالية، والمهم أنها أكثر كشفاً للمؤلف، فصاحب الرواية التي تُقرأ لا يـ□تطيع أن يخدع القارئ، ولا يقدر على خداع نفـ□ه، □تثني من عبـارتي الأخيـرة الكلمـات الفارغـة التـي تحشـو عشـرات الصـفحات بـلا أيـة قيمـة، والنصوص المـ□روقة وهي كثيرة في أدبنا العربي.

المحور الثالث

السرد والسيرة الذاتية

س1: يقـال (الروايـة سـيرة ذاتيـة ملتبسـة)، إلـى أيّ حـدّ تـرى هـذه المقولـة صحيحة استناداً إلى تجربتك السردية الروائية؟

ج 1: ملتبـ□ة مصطلح خطير ويبدو أنه صحيح لكن مع إضافة هامة قد تلغي الذاتية من التعريف، الإنـ□ان متشكل من كل ما يحيط بـه من لحظة الحب التي بين أبيه وأمه التي صادفت وجوده في الدنيا إلى لحظة موته، لكن ما يعني مفهوماً لل□يرة الذاتية هو الانغماس بالأنا في كل ما يتذكره الكاتب وكل ما كان لـه تـأثير هام في حياتـه، تـأثر بأحداث أو شـخوص أو معـارف حصّـلها بوعيـه، تغيـب هنـا مشـاركة اللاوعي في نص الـ□يرة الذاتي إلا ما يـ□قطه هذا اللاوعي على الورق عند الكتابة.

ليس هناك ما يُخجل وما يمكن أن يُحـ□ب خارج عن النص إن كان مجمل ما يحمله العمل هو نتاج طبيعي لتكوين الروائي في نظرتـه للأشياء وفلـ□فته، قد يكون هناك □يرة من الذات في النص الذي أكتبه لكنه ليس □يرة ذاتية، كيف يمكن أن نفلـ□ف معنى الذاتية بهذا الموضع بالذات وأن نبرز دلالة الذاتية، في الرواية يتضح الأمر أكثر فإن كان في النص الروائي إ□قاطات كبيرة وواضحة من شخصية

المؤلف فهي لا يمكن أن تكون □يرة ذاتية. فعندما يـ□قط المؤلف ذاته في الرواية فهو يُ□قط الشخصية التي يحبها لأنـاه، أو التـي كـان يتمنـى أن يكونهـا، أو مـن الممكن أن يكـون انتقاديـاً لهـذه الأنـا فيعالجهـا مثلمـا يتمنـى. جـلّ مـن يكتبـون □ـيرهم الذاتيـة شخصيات عامة نالت قدراً من الشهرة في العالم بغض النظر عن المجال الذي نـالوا فيه هذه الشهرة، أنا تقبلت □يرة هتلر في كتابه "كفاحي" لأنه هتلر، ولكن لا يمكن أن أتقبل أن يكتب مدير بنك ناجح أو لص ثري □يرة حياته، إذا كان عندهما مـا يعطيانـه لا بـأس مـن عمـل كتـاب يشـرحان فيـه مـا الـذي جعلهمـا مميـزان لكـن ليـس □ـيرتهما الذاتية.

الأهم من كل ذلك أن كل من كتبوا □يرهم الذاتية وبخاصة في عالمنـا العربـي، - أ□تثني الذين يكتبون أصلاً – قاموا بتلقين قصص حياتهم لأشخاص مهنتهم هي كتابة الـ□يرة الذاتية، الذين يقومون بدورهم إمعاناً في النفاق بإقناع الذي كلفهم بالكتابة بتعديل أو تغيير أو تجميل شيء ما من هذه الـ□يرة لذلك أنت تجد □ـير أنبياء وليس بني آدميين، قرأت بالإجبار □يرة واحد من هؤلاء صُدمت لدرجة قـ□يته فيما كُتب عنه في□يرته أو ما كتبه هو كما يدّعي، في مقدمة الكتاب بأنـه هو الـذي يـ□رد هذه الـ□يرة خدمة للأجيال القادمة، المهم أنـي كنت أعرف هذا الشخص عن قرب كـان بالواقع أقرب إلى الشياطين والمتخلفين عقلياً لكنه في الـ□يرة كان نبياً.

بالنتيجة لا يمكن للرواية أن تكون □يرة ذاتية على الرغم من ضرورة بروز الذات بالجبر في البدايات وإلا لكان الراوي ليس كائنـاً منفصـماً عقلياً بل لكـان كائنـاً مشظّى، فالشخوص والأحداث والأزمنة التي يكتبها لا يمكن أن تجتمع في إ□ـان واحد حتى لو عاش مئات الـ□نين، لكن حالة التقاط الصورة التي يقدّر الروائي أن يعيد تشكيلها وإعادة ر□مها وتشريح تفاصيلها هي حالة ثبات نفـ□ي وولوج للحياة ومعايشاتها وأحداثها وأُنا□ـها وتكويناتهم وأفعالهم وردود أفعالهم من زاوية تشكل نظرة خاصة ومختلفة .

إن الإ□ـقاط الذي يكون في الرواية ويكون قريباً من شخصية المؤلف حالة مرجعيتها تشكّل وعي المؤلف وليس حياته. في روايتي "ماري روز تعبر مدينة الشمس" أُتهمت بأني البطل أو أنّ حضوري صارخ بها، وفي "رواية حكاية □مها الحب" صُنفت على أنها □يرة ذاتية، ما ضخّم هذا الرأي في رؤوس من عرفوني هو أن بطل الرواية يدخن الـ□يجار وأنا معروف عني أني أدخن الـ□يجار، لنعترف قليلاً عندما كتبت "حكاية □مها الحب" لم أكن أكتب رواية حب بل عملاً وجودياً، وعلى الرغم من وضوح ذلك في النص حيث إن الرواية تتشكل من جزأين، الأول يُقاد فيه البطل إلى حالة العشق مع الفتاة التي هي في نصف عمره، والثاني يقاد بها نفس البطل لحياة أخرى مختلفة هي حياة قاع المدينة وعالم الليل والمومـ□ات، هذا الـ□يجار لم يمنع دكتورة صديقة عزيزة عليّ التأكيد في درا□ة لها عن الرواية أن قا□م توفيق

هو □يف بطل الرواية. أنت كروائي لا يمكن أن تكون غيرك كإ□ـان في كل شيء وخاصة الإبداع لكن من غير الممكن أن تكون أنت في كل رواياتك وقصصك .

س2: هـل بوسـعك تفـادي تسـلّل جـزء مـن سـيرتك الذاتيـة إلـى قصصـك وروايـاتك؟ وإلـى أيّ درجـة تسـمح لأجـزاء أو إلماحـات أو كسَر مـن سـيرتك الذاتيـة بالحلول في أحضان نصوصك السردية؟ هل ثمة حدود لذلك؟

ج2: من الي□ير تفادي حضور الـ□يرة الذاتية للروائي في الرواية عندما يتمرس بهـا ويجتـاز عتبـة الروايـة الأولـى أو الـروايتين، لكـن مـن الصـعب أن يـ□ـل نفـ□ـه المتشكلة الكاملـة مـن الـنص، مـا أكتبـه هـو كيـاني المتكامـل حتـى بتفاصـيله التـي لا أعرفها فاللغة والمكان والأزمنة تُرى لي كما أراها بوعي المتشكل فيّ والذي شكلني فيه، المفارقة أن الـ□ؤال عن الـ□يرة الذاتية مثلما قلت □ابقاً هو إيغال بالذاتية يعني أن أكون أنا محور كل شيء في الرواية، وهذا ما يفعله كتاب الـ□ير الذاتية، لا يمكن تحقق ذلك عند الروائي **لأن عوالم الرواية أكثر انفتاحاً من ذات واحدة مهما كانت هذه الذات عظيمة وفاعلة، الذات الروائية أكثر خجلاً وتواضعاً فهي تقوم على مبدأ البناء الإرادي لما كان ولما يمكن أن يكون في مجمل تفاصيلها شخصياتها وأمكنتها وأحداثها، وحتى اللغة المكتوبة بها وهي المالكة لسلطة أن تغير من مسار ما هو كـائن ومتحقـق وهـذا أمـر لا تسـتطيع السـيرة الذاتيـة أن تقـوم بـه.** (لا أدري لمـاذا أتعامل مع هذه المـ□ألة بعدائية وكأني أنفي عن نفـ□ي تهمة؟) يبدو ذلك لأنني أرى أنه لا يمكن أن يكون أيّ روائي منزلقاً في ذاتـه في كل أعمالـه بقـادر علـى أن ينجز مشروعاً روائياً متكاملاً، هنالك تقاطعات لا بد منها بين ذات الكاتب وبين الروايـة، وهناك ذات صغيرة يبني عليها المؤلف عالماً كاملاً لكنها لا تكون الذات الضيقة.

أعيـد وأنـا أرد علـى هـذا الـ□ـؤال لـذاكرتي أعمـالي الكاملـة، أجـد بـأني كنـت حاضراً في ماري روز، وكنت في حكاية □مها الحب حاضراً نفـ□ياً ومتخيلاً، وفي أرض أكثر جمالاً وعمان ورد أخير كنت حاضراً كذات جمعية لأبناء جيلي، وفي الشندغة لم أكن حاضراً إلا في المكان دبي، وكذلك في رواية ورقة التوت، في رواية البوكس لن تجدني أبداً حتى لو بحثت عني في مجهر، حضرت في رائحة اللوز المر لكني غبت بالكامل من صخب.

إنّ طبيعة وشكل النص هو ما يـ□تدعي حضور أو غياب المؤلف. عندما أبدأ في عمل جديد آتي حاملاً فكرتي الكبرى وشخصياتي الرئيـ□ة، وأبتدئ في خلق حالة ميلاد لعمل أصير فيه واحداً ممن يـ□ـونه بل إنني أتخلف كثيراً عن شخصياتي في قيادتـه، والأدهـى أنـه تـأتي حالات وأحداث يصبحون هم من يقودوني معهم ولـ□ـت أنا من يحركهم.

س3: هل تعتقد أنك في النهاية لـم تفعل في كلّ قصصك وروايـاتك سـوى أن تسجّل سيرتك الذاتية بشكل قصصيّ أو روائيّ، تلميحاً كثيراً وتصريحاً قليلاً؟

ج3: لا أنفي هذه التهمة عن نفسي ولكنني لم أصل بعد لمرحلة تبجيل سيرتي بقصة أو رواية سيرتي مليئة بما هو عجائبي ومدهش، ولو أنني بحت بها فلن يكون مكانها رواية بل سيرة ذاتية، لقد عملت في عالم المصارف أكثر من ثلاثين سنة لا يمكن أن تجد في كل أعمالي شخصية مصرفية واحدة على الرغم من كثرة التجارب التي واجهتني خلال هذه المدة، لا أدري كيف تدار المسألة في داخلي لكن هذه هي الحقيقة.

س4: أيّهما أقدر على حمل مقتطفات أو جزئيات من سيرتك الذاتية، القصة القصيرة أم الرواية؟ ولماذا؟

ج4: إن حدث وأردت أن أكتب سيرتي الذاتية فلا أعتقد أن رواية واحدة قد تكفي لحمل هذه السيرة، في حياتي عوالم ومصادفات وأحداث ممتلئة بالغريب والعجائبي، أنا عندما أحكي لأولادي عن حياتي في منسوبة ما أقص عليهم واحدة من الأشياء التي يباح لي فيها الكلام أمامهم وأقفل في نهاية كل حديث بعبارة "ألم أقل لكم بأنني أنا من خرج من بطن الحوت".

س5: السيرة الذاتية مرجعية أصيلة من مرجعيات العمل السرديّ كما يشير إلى ذلك أكثر المشتغلين في هذا الحقل، هل يمكن تفادي هذه المرجعية مطلقاً والاستغناء عنها في كتابة أعمال سردية موضوعية لا صلة لها بالذات الكاتبة؟

ج5: أعتقد أنا أجبنا مفصلاً عن هذا الموضوع، الروائي السيرذاتي لن يكتب كثيراً ولن يستمر بالكتابة إذا لم يتخلَ عن ذاته الخاصة وصارت ذاته جمعية. البدايات لا بد أن تكون السيرة الذاتية فيها أكثر حضوراً فهي معين ونبع بدايات كل شيء فيه، وهي المؤثر الأكثر إشغالاً لذاكرته لا يمكن لأي كاتب أن يلغي ذاته من النص لأن الكلمات التي يستعملها والصور التي يصنعها والآراء التي يسقطها على شخوصه هي نتاج من تشكل ذاته.

س6: لكلّ كاتب حساسية خاصة لها لون وطعم ورائحة لدى القارىء المحترف، وأظنّ أنني اكتشفت حساسيتك بلونها وطعمها ورائحتها، فأنت تكتب بإحساس عال بالأشياء، لذا أجد أنّ سيرتك (بالمعنى العام للسيرة) تتجسّد في قصصك ورواياتك بقوّة وإصرار، ما هو حجم صدق هذا الإحساس بصراحة؟

ج6: قد أتفق معك بهذا الرأي إن كنت ترى ذاتي فيما كتبت بالصورة التي حاولت أن أوضحها في مجمل بداية هذا الباب، إنه من اليسير على القارئ والناقد بصورة أكبر أن يكتشف حالتي تجاه الحياة بسهولة في داخل النص، إنّ جمالية حالتي تجاه الحياة غامرة وكثيفة لذلك من الممكن أن يلتقطها من يقرأني بيسر، القيم الجمالية والمبدئية التي أعيشها وأؤمن بها لا يمكن أن تتخلى عني عندما أكتب لذلك تجدها واضحة ومكشوفة، هذا الوضوح ليس مصطنعاً ولا اختلاقي بل هو انعكاس تام عن ذاتي، إحالتي العالي تجاه الأشياء في حياتي المعيشة هو من حرّك في داخلي الرغبة في الكتابة منذ طفولتي، فأنا أرى الأشياء بحس وعاطفة مبالغ فيها،

الآن وأنا أجيب على هذا السؤال تبادر إلى خاطري مقطع من روايتي "رائحة اللوز المر" كان على لسان البطل الرسام الصغير هذا المقطع قد يساعد في إيصال الفكرة التي أريد أن أوصلها للقارئ، أرجو أن أُوفق لأنني سوف أعود الآن للرواية لأرى إن كان هذا الربط صحيحاً " **تقول أمي إنني ومنذ أن بدأت أتعلم فكّ الحرف كنت أهتم بالألوان أكتب الواجب الذي تطلبه مني المعلمة ملوناً حيثما يجب وكيفما يلزم، لأعطي للكلمة دلالة أعمق مما تعطيه الحروف، فلو حدث وكتبت كلمة حب أو أم كنت أكتبها بلون فاتح شفاف أزرق كالسماء أو ليلك مثل الورد"** انتهى الاقتباس. قد يكون في هذا مؤشر متواضع يؤكد ما توصلت إليه أنت.

س7: أرى أنّ النصوص السردية تمثّل فرصة للكاتب العربيّ كي يمرّر الكثير من سيرته الذاتية فيها من دون أن تلحقه تبعات اجتماعية وأخلاقية وثقافية كما لو أنه كتبها على شكل سيرة ذاتية، مازال الوضع العربيّ الأخلاقيّ لا يسمح، والكاتب العربيّ ناقص الجرأة كي يغامر مثل هذه المغامرة، ما تعليقك؟

ج7: حقيقة هذا هو ما يجري تماماً، وأعتقد أنك بسؤالك هذا قد وصلت للحظة المدهشة في تفصيل العلاقة بين الرواية والسيرة الذاتية، إنّ النصوص السردية لا بدّ وأن تحمل في داخلها ذات المؤلف وإن زاد حضور هذه الذات فهو يكون محاولة للهرب من تبعات جنائية النص على صاحبه، ما يجري في الحالة الروائية عندنا في الأردن ممتلئ بما يؤكد ذلك بدءاً من الرواية الأم للأدب الأردني من وجهة نظري "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول وصولاً إلى ما يُكتب اليوم، أعيد التأكيد على رأيي الشخصي بأنه كلما كانت الذات أكثر وضوحاً في النص قل إنجاز الروائي بهذا المحل، تيسير سبول لم يكتب غير هذه الرواية، وسالم النحاس لم يكتب سوى روايتين، ولتثني كتابنا الرومانسيين أمثال عيسى الناعوري وحسني فريز فهما قد كتبا العديد من الروايات بسبب موضوعتها التي كانت لها سوقها الرائجة آنذاك، الأدب الرومانسي، عربياً لا يمكن أن يكون نجيب محفوظ أو الطيب صالح أو غائب طعمة فرمان كتاباً ذاتيين.

ليست الذات الخالصة وحدها التي تكون متخفية تحت ظل السرد الروائي أو القصصي بل أيضاً تختبئ معها الذات الجماعية خوفاً من التبعات الجنائية، "ما يمكن أن تسميه الأمن الشخصي للكاتب" بالإضافة للتبعات الأخلاقية، الكاتب العربي بالفعل يعاني من الخوف، نجيب محفوظ بكل حجمه الإبداعي لم يكتب ما ينتقد فيه زمن عبد الناصر إلا بعد تسلّم السادات للحكم وإعلان معاداته للناصرية، عندنا في الأردن لم تكن ترى عمان مسماة ومعرّفة في النص بالمطلق، أستطيع أن أقول بأنني أول من كشف عن اسم عمان بكتاباته من أول مجموعة قصصية صدرت لي، فالخوف الأخلاقي لم يكن ليشكل الهم الأكبر عند المؤلف بقدر الهم الجنائي "الأمن

الشخصي"، من هذه الرؤية أميل إلى الاتفاق بأنه يحدث أن تختبئ □يرة الذات أو أن تُخفى في داخل الرواية.

س8: الكاتب العربيّ ازدواجيّ الرؤية والثقافة والموقف، لذا ينهك نفسه في اختراع آلاف الرموز من أجل أن يتفادى الإحالة على سيرته الذاتية في نصوصه، وربما يكون الوضع الأسريّ أحد أهم هذه الأسباب، وثمة القليل من الكتّاب العرب من غيّروا مصيرهم الاجتماعيّ خدمة لحرية أدبهم، ماذا تقول في هذه الإشكالية قدر تعلّق الأمر بتجربتك؟

ج8: ألا ترى أنّ هناك تجنياً على الكاتب العربي بوصفه بازدواجية الرؤية والموقف؟ إن كان هذا صحيحاً فإنّ مرده ليس الواقع الأ□ري بل الذاتية الخالصة التي عند الكاتب، أنت لا يمكن أن تحتمل نصاً لا يملك الجرأة على مواجهة الكون فكيف □تقبل كاتباً غير قادر على مواجهة أ□رته وعشيرته، هؤلاء الأ□رة والعشيرة عندهم الكثير ممن يكتبون لهم، هذا النوع الخائف من الأدب لا يعيش إلا في الم□تودعات أو ت□تعمله الأ□رة في التدفئة.

بناءً على هذا التعريف فإنني كاتب خارج عن القانون ومتصعلك، فلا الأ□رة ولا العشيرة ولا تركيبة المجتمع الذي أعيش فيه ولا ثقافاته كانت حاجزاً أو مانعاً أو مبدلاً لما أكتبه أو فيما أكتبه، **إن الكتابة عمل ثوري من لا يجرؤ على الثورة لا يمكن أن يصنع أدباً يُقرأ**، يمكن أن يكتب حواديث وحكايات لكنه لا يمكن أن يصنع عملاً إبداعياً، لقد اخترقت هذه الحواجز وكس□رت هذه التابوهات في كل ما كتبته، إنّ تشكل المؤلف لا يمكن أن يجعله حالة متغيرة نهجاً وموقفاً وإلا فليرجع المؤلف لكتابة □يرته الذاتية إن كان فيها ما يهم، أو إن وجدت من يقرأها، أو ليُمتع ويفرح الأنظمة بـ□رد الحكايات التي لا تحتوي على أية قيمة.

س9: هل تنوي كتابة سيرتك الذاتية لتنقل فيها تجاربك بكلّ صراحة، أم أنك تفضّل الاكتفاء بالسرد بوصفه مساحة كافية لحمل موجات معيّنة من سيرتك؟

ج9: □يرتي الذاتية يمكن أن أحكيها للأصدقاء على حلقات لكنني لا أفكر بكتابتها، إن حدث وقررت أن أكتب فـ□وف أغير العنوان ليصبح "مواجهة ذاتية" وليس □يرة ذاتية، عندي الكثير مما يقال في□يرة حياتي لكنه في آخر الأمر أعظم ما فيها ذاتي بحت، ولا أعتقد أنّ القارئ معنيّ بما احتوته هذه الـ□يرة أو الاعترافات أو المواجهات إلا من جانب التـ□لّي والمتعة، فـ□يرتي ملأى بالكثير وبالغريب والمدهش الذي لا يمكن أن يصدق بعضه القارئ أحياناً.

س10: ثمة سيولة سردية واضحة في سردياتك، أستطيع أن أقول إنها تنطوي على نوع من السردية الخالصة بما تحتويه من كثافة ورطوبة وحيوية، فأنت حكواتيّ بارز الملامح، والحكواتيّ من هذا النوع يسعى دائماً إلى رواية ذاته

فيما يكتب، الذات بمعنى السيرة في مجمل طبقاتها، هل يمكن قراءة ذاتك على هذا النحو في جوهر سردياتك؟

ج10: ملكة الـ□رد حالة جمالية تنعكس بعد إنتاجها نصاً عليّ كقارئ لها، لذلك أكرر القول دائماً بأنني أكتب لنفـ□ي، وحتى وإن قال أحدهم لماذا تنشر ما تكتب أقول لأنني أحب أن أقرأني بصوت عال، أنا إنـ□ان تفتنني اللفظة والعبارة وصلابة الموقف من الحياة، مثلي كثيرون من البشر، فعندما أتمكن من عمل نص يشد القارئ فأنا أردّ الشكر لمن شدوني لقراءتهم، بمثل هذه الصورة يمكن أن تُقرأ ذاتي وليس على أي صورة أخرى.